أيام فى السعودية :

أنيس منصور

إنهم لا يقدسون الموت !

يومان

فى السعودية : يوم اغتيال الملك فيصل ، ويوم عودة الملك خالد بعد أن شفاه الله .. فى اليوم الأول ذهبت لأقدم صادق العزاء إلى الأصدقاء من الأمراء ، ومن الرسميين . وفى الطائرة أعددت نفسى لمواجهة هذا الموقف الأليم . ولا بد أن الحزن كان واضحا على وجهى .. فالملك كان رجلا عائلا هادئا متواضعا طيبا .. وهو لا شك خسارة لأهله ولقومه وللعرب . وفى الطائرة وجدت السعوديين يتكلمون ويأكلون ويضحكون . وقلت : لا بد أن الحزن أرهقهم . وهم فى حاجة الى شىء من الترفيه ..

وفى الطائرة وجدت السعوديات قد نحين غطاء الوجه جانبا ، فظهرت وجوه مغسولة شاحبة وإن كانت العيون كبيرة ولمعانها شديدا .. ولكن عندما اقتربت الطائرة من مطار جدة .. تبدلت الصورة بسرعة فالرجال قد سحبوا الضحك من الوجوه .. والنساء قد سحبن الأغطية على الوجوه . وكأنهن تحولن من أحياء الى أشباح .. والمنظر يوحى بالحزن حقا ..

وفى مطار جدة صافحت الكثير من الأصدقاء وكان موضوعنا هو اغتيال الرجل الطيب الملك فيصل .. وفى السيارة كان الراديو يذيع القرآن الكريم .. وعددت يدى أدفع لسائق التاكسى ونافسنى فى الأجرة .. فأدركت أن الحزن ليس عميقا كما كنت أتصور ..

وفى الفندق دخلت فى الحركة العادية اليومية لأى زائر أو سائح ..

ملأت الاستمارة وطلبت المفتاح ودخلت غرفتى .. ودخلت تحت الدش وطلبت الشاى .. وعددت يدى إلى التليفون وذهبت إلى الصديق عبد الله الفيصل .. إنه أكبر أبناء الملك وأحب أولاده إليه .. ووضعت أحزانى وأسى كلها فى يدى وفى عينى أو تصورت ذلك . ويبدو أن الأمير عبد الله الفيصل .. قد تلقى هذا العزاء ألف مرة .. فلم يعد هناك ما يستطيع أن يطيقه . فكل الذى قاله ردا على تعزية الناس قد كرره حتى مله .. أو حتى ملت يداه وعيناه وشفتاه ..

وجاء الناس إلى الأمير عبد الله الفيصل وتحدثوا فى كل شىء .. ومضت ساعة لم يرددوا فيها اسم الملك فيصل وبدأت أجمع دهشتى لكى أصل إلى هذه النتيجة : أننى فى السعودية ولست فى مصر .

ومعنى ذلك أن الحزن فى السعودية ساعات وبالكثير جدا أيام .. أما عندنا فى مصر فالحزن أيام وسنوات .

ثم قام الناس جميعا إلى تناول العشاء .. ودار الحديث عن الفرق بين لحم الضأن ولحم الدجاج .. ولم أنطق بكلمة واحدة .. لا لأنى لا أعرف هذا الفرق ، فأنا آكل ما أجده ثم إننى لا أحب اللحم ولا أشتهيه ولو غاب عن عينى سنوات فلن أطلبه ، ولكن الكلام بهذه الصورة قد صدمنى .. أو صدم مجموعة الأفكار التى أعددتها وحشدتها فى رأسى قبل أن أصل إلى السعودية . وابتلعت مع الطعام لسانى وسكت .

وفى الرياض قابلت عددا هائلا من الأصدقاء . إنهم فى غاية الحزن . ولكنهم فى نفس الوقت فى منتهى التسليم بقضاء الله . لقد مات الملك وكل إنسان سوف يموت .

وفى الرياض كانت الصدمة الثانية : سألت عن قبر الملك . فأشاروا إلى طوبة على سطح الأرض . وقالوا : هنا .

■ سألت : سوف يدفن هنا ؟

قالوا : بل قد دفن هنا !

أما « هنا » هذه لعلهما أنهم حفروا الأرض .. ثم حفروا جانبا من الأرض ووضعوا فى هذا الجانب جثمان الملك مستقبلا على جانبه ووضعوا وراءه الحجارة والتراب .. ثم وضعوا قطعة من الحجارة على سطح الأرض تمييزا مؤقتا لقبر الملك .. وهم - أى السعوديون - يستنكرون أن يمتاز قبر عن قبر ولو بطوبة أو بقطعة حجر ..

فالرجل « هنا » تحت هذه الطوبة !.

انتهى رجل عظيم حكم ..

فإذا حاولت أن تناقش معهم ذلك قالوا لك : وأين الرسول عليه السلام !

إنه هو أيضا تحت الأرض .. إنه بشر .

❖❖❖

أما اليوم الثانى فهو عندما عاد الملك خالد من لندن بعد أن أجريت له عملية جراحية فى عظام الحوض . وهى عملية أليمة رهيبة وبعد سبعين يوما عاد الملك ليجد الشعب قد أضاء له الشوارع والبيوت والمؤسسات .. ولم يفرح الشعب السعودى قبل ذلك ، وبهذه الصورة ، إلا يوم مبايعة الملك فيصل .. بل إن السعوديين هذه المرة قد تجاوزوا كل الحدود .. فأقاموا الزينات وذبحوا الأغنام ورقصوا فى الشوارع وفى أيديهم العصى والسيوف ثلاثة أيام .. بل إنهم كانوا ينتظرون نشرة الأخبار الأخيرة لعل الملك يأمر لهم بيوم إجازة .. أو بأسبوع أو بشهر .. فهم سعداء ويريدون أن يفرحوا وأن يتفرجوا على أنفسهم وهم سعداء ..

وقد خرج الناس إلى الشوارع وقد امتلأت السيارات بالبدات والأطفال .. وجلس الناس على الأرصفة ومعهم أجهزة التليفزيون والطعام .. وحدث فى المدن السعودية ما يحدث فى القاهرة أيام مباريات كرة القدم : زحمة فى الشوارع وانقطاع للتيار الكهربى ..

وفى الشوارع تفرجت على العمارات العالية جدا .. فهذه العمارة كانت الشقة فيها بثمان الجنيهات أصبحت الآن بثمان الألوف .. وهذه العمارة تقف على أرض ثمنها عشرات الملايين .. ومن الكلمات التى تتردد على الألسنة هنا كثيرا « المليون والألف مليون » .. وكثيرون فى السعودية عندهم الشجاعة فى ترديد مثل هذه الكلمات دون خرج أو ادعاء ..

(وقد شعرت بالدوخة كثيرا فى السعودية . وقد شخصت مرضى منذ أيام على أنه النهاب المفاصل والمعدة وشدة الضوء على العينين وقلة النوم .. ولما عدت إلى القاهرة سألت الطبيب فقال : عندك تلبك فى الأرقام .. أى اختبرت الملايين فى أفق فأحدثت خللا فى الأفق الوسطى .. ومن هنا كانت الدوخة !)

ثم جاء الملك خالد فأعطى للناس إجازة يوما .. ثم ثانيا وثالثا .. ورفعت الأجور إلى ٥٠٪ . ولمعلوماتنا جميعا فإن الجندى الذى يلحق بالعمل بعد تدريب شهر أو شهرين يتقاضى مرتبا شهريا قدره ٤٠٠ جنيه - أربعة وأمامها صفران - هذا الجندى يقف فى بداية السلم الوظيفى . وترتيبه الوظيفى رقم ٣٣ .. واترك لخيالك أن يذهب حيث يشاء عندما ينطلق من الجندى البسيط الذى يمسك عصا ويدق بها العربيات الفخمة فى الشوارع إذا خالفت المرور أو توهم أنها فعلت ذلك ، الى المدير والوزير !!

والفرق بيننا وبين السعوديين واضح جدا : فهم لا يقدسون الموتى مثلنا . ولذلك فأحزانهم عابرة . ونسليمهم بقضاء الله وقدره حقيقة تغيظ المصريين والكثيرين من العرب الذين ملأوا بلادهم بأفراحهم الأولياء ..

ومن فضل الله تعالى على الاسلام والمسلمين أن أحدا من الخلفاء الراشدين أو الصحابة لم يدفن فى القاهرة .. وإلا لقدسه المصريون وجعلوا زيارته أحد مناسك الحج - لأننا نقدس موتانا - أستغفر الله !

وأين ولد الرسول ؟!

فى مكة تسأل : وأين ولد الرسول عليه السلام ؟

● يقول لك أى واحد : هنا .

- أين ؟

- فى مكة .

● أعرف . ولكن أين بيته الكريم ؟

- والله لا أعرف .. أظن أن بيته فى شارع ..

● تقول « تظن ؟ » .. وهل الكلام عن رسول الله وبيت رسول الله مما تصح معه كلمة « تظن » .. أنت لا تعرف أين البيت الذى ولد فيه الرسول .. يا نهار أسود .. ألست مسلما ؟ .

- أعوذ بالله .. بلى مسلم .. ولكن يا أخى لا أعرف أين ولد رسول الله .. إنه ولد فى مكان ما .. وما قيمة هذا المكان ؟ ..

ولا يقوى مصرى على الاستماع إلى مثل هذه المناقشة .. ولكنهم فى السعودية يناقشونك ويرون أن هذه المناقشة سخيفة جدا .. لأن البيت الذى ولد فيه الرسول ليست له قداسة ، فالقداسة لله وحده لا شريك له .. أما الرسول فليس إلا بشرا .. كان عظيما . وسوف يبقى عظيما .. أما بينه وأما قبره .. فلا يصح أن ينظر أحد إليهما على أنهما مكانان مقدسان !

والبيت الذى ولد فيه الرسول ﷺ تشغله مكتبة .. مكتبة عادية إذا ذهبت إليها اندهش الناس لاهتمامك بالبحث عن هذا المكان .. وفى إمكانك أن تندهش على راحتك فلن يجاريك أو يناقشك فى ذلك أحد !

وفى المدينة المنورة تزور « قبر الرسول » .. السعوديون يقولون : يا رجل عيب .. حرام عليك .. لا تقل « قبر الرسول » قل « مسجد الرسول » ..

وهناك تجد الزوار من إيران ومصر وتركيا وباكستان

● الملك فيصل

● عبد الله الفيصل

● الأمير فواز

نورت المدينة؟!

أحب المدن إلى أى إنسان فى رحته الروحية : المدينة المنورة .. إنها هادئة طيبة .. والناس فى غاية الهدوء .. انظر إلى عيونهم وإلى بشرتهم الناعمة المسدودة .. وإلى أصواتهم وهم يتحدثون إليك .. ثم أعط أذنيك لصوت المؤذن .. إنهم أكثر من واحد يؤذنون فى وقت واحد .. والمدينة كلها تتجه إلى مسجد الرسول ... شىء جميل وعجيب .. وفى المسجد تهتز حقا . فأنت فى حضرة رجل عظيم .. صاحب دعوة .. وصاحب فلسفة .. أعطاه الله العلم والحكمة والبلاغة والعظمة . وتعذب بين أهله ونائل وأحب ومرض ومات .. خرج من هذه الأرض الجافة المجدبة ، وكان نورا وخضرة وعطرا وخيرا لكل الناس ..

وأهل المدينة أكثر الناس اعتزازاً بمدينتهم . ومعهم حق .. ففى مدينتهم أعظم خلق الله وأروعهم .. وقد هاجر إليهم فارا من أهله الذين اضطهدوه وعذبوه واعتدوا عليه ..

وكل شخص يلقاك يقول لك : نورت !

يقصد أنك نورت المدينة !

وتقبل هذه المبالغة الفجة أو تعتذر عنها ..

وفى إحدى المرات . أى فى إحدى المجاملات قال لى صديق : والله نورت المدينة !

قلت : حرام عليك يا شيخ .. وهل يستطيع أى أحد أن يفعل ذلك .. ففى المدينة مسجد الرسول .. وفى المدينة قد أضيئت الشوارع فرحا بعودة الملك .. ثم إن القمر فى السماء ابن ١٦ .. فما هو الضوء الذى يمكن أن يضيفه أحد الى شىء ؟ ! وأين هو المكان المظلم الذى أستطيع أن أضىء فيه ما يعادل عود كبريت ؟ ! ولكنهم مجاملون إلى أقصى حد .

مقص الرقيب : قصير !

تغيرت

الدنيا فى السعودية .. ومن مظاهر هذا التغيير : الرقابة على الصحف والكتب ..

فقد جلست فى مكتب الصديق عبد الله فقيه مدير الرقابة .. وهو أحد أبناء الأسر العريقة فى السعودية .. وأما اسم فقيه فهو من المشاكل العقلية التى حيرتنى .. ففى أول زيارة للسعودية لاحظت أن هناك محلات للدواجن كثيرة وقد علقت عليها لافتات تقول : فقيه للدواجن ..

ولم أفهم .. وكل ما دار فى عقلى أن هذه محلات خبراء الدواجن .. أى فقهاء الدواجن .. أى الناس الذين يساعدونك على اختيار أحسن سلالات الدواجن .. أنسب ديك لأنسب دجاجة .. أو يقومون بتهجين السلالات المختلفة ..

أو لعل فقيه الدواجن هذا هو ما يعادل المأذون عندنا .. أى الذى يعقد على الديك والفرخة .. وربما ..

وتركت هذه الاحتمالات فى رأسى . على أن أسأل أحدا من أهل الذكر .. ووجدت واحدا من أهل الذكر . فسألت الصديق عبد الله جفرى عن فقهاء الدواجن أو علم فقه الدواجن . وعرفت شيئا آخر تماما . فهذه محلات يملكها واحدا اسمه فقيه .. أو من عائلة فقيه .. وهو بيبع الدواجن .. أى إنها محلات فقيه لبيع الدواجن .. ولكنه شاء أن يجعلها مختصرة . كما نقول : بانا للأحذية .. أو إحسان للقصص .. أو عبد الوهاب للأغانى

والصديق عبد الله فقيه هو أحد ابناء هذه الأسرة التى تبيع الدواجن للشعب .. وهم فقهاء فى تربية وتسويق الدواجن ، وفى شيها أيضا . قد جربت ذلك وأشهد لهم بالبراعة فى هذه الصناعة !

وعبد الله فقيه هذا رقيب متحرر .. وواسع الأفق حقا . وقد شهدت لحظة تنفيذ حكم الإعدام فى كتاب وارد من مصر ... أما الرقيب الدينى فقد قرر تحريم الكتاب .. فقد جاءت فى الكتاب كلمة خمر .. فى أكثر من موضع .. ورأى الرقيب أن هذا يكفى جدا لمصادرة الكتاب مع ان القرآن الكريم قد ترددت فيه هذه الكلمة كثيرا !

ولكن عندما قلب عبد الله فقيه هذا الكتاب وجد أن كلمة خمر قد وردت دون دعوة لشرب الخمر أو تمجيدها .. وإنما جاءت لوصف النشوة التى يستشعرها الشاعر وهو ينظر إلى جمال الغروب أو روعة الزهور .. فأصدر قرارا بفسح الكتاب . أى بالإفراج عنه !

■■ ولم يكن ذلك ممكنا من سنوات ..

ولكن هناك مرونة وواقعية عند المثقفين السعوديين .. فالدنيا قد انفتحت بعضها على بعض .. وليس فى الإمكان أن تنفصل السعودية عن الدنيا .. فأبناؤها يسافرون على مدار السنة ويعودون ومعهم الكتب والأفلام من كل لون ونوع .. ثم إنه من المستحيل أن توقف هذه الحرية التى تهب عليهم من كل الجهات .. فلا أحد يجهل شيئا .. فالرجل يرح ويجىء ، وكذلك المرأة ترى وتسمع وتناقش .. ولم يعد هناك شىء يمكن اخفاؤه وليس من العقل أن يكون الانسان متجمدا .. متصلبا ..

فعبد الله فقيه ، وغيره من الشبان المثقفين ، يؤدون للفكر خدمات جليلة بأفكارهم المتحررة ووجدانهم الصادق .

■ ورأيته قد منع تداول احدى المجلات . وسألته : لماذا !

- مليئة بالصور العارية

■ ولكن هذه الصور ليست بقصد الاثارة الجنسية

- ولكنها عارية ..

ورأيت أنه من الأنسب أن أكتفى بهذا الكسب للحرية واتساع الأفق . ولا داعى لأن أناقش عبد الله فقيه فيخبر الفارىء السعودى ما كسب من اتساع أفق عبد الله فقيه .. وقد خشيت أن يغضب الرجل فيعود إلى تحريم الخمر .. أقصد الى تحريم ذكر كلمة الخمر أيا كان السبب ..

وقلت : فعلا صور عارية .. ولا يصح نشرها .. فالناس ليسوا فى حاجة إلى مزيد من الاثارة فى مدينة مثل جدة .. حيث امتلأت الشوارع بالأجانب من كل لون ، وبالفساتين من كل طول وعرض .. أو بلا طول ولا عرض ..

■■ وضحكنا نحن الاثنين فى وقت واحد : فكلانا لا يعنى ما يقوله عن الصور العارية !

أنيس منصور

هنا الاسكندرية

الكرة في ملعب الحكومة

سجل الرئيس السادات هدفا قويا رائعا على أرض استاد الإسكندرية.

لقد أعلن ثورة ينتظرها المصريون منذ عشرات السنين.. ضد الروتين. وإعلان التصحيح الإدارى من أجل العبور الاقتصادى.

ونجح الرئيس ببراعة فى أن ينقل الكرة إلى ملعب الحكومة أمام الملايين من الجماهير.

فقد وضع الوزراء أمام مسئولياتهم الوطنية. أعطاهم الصلاحيات المطلقة.. وطالبهم بنسف الروتين.

ولم يكن الضوء الأخضر الذى أعطاه لهم بطول خضرة أرض الاستاد فقط.. وإنما بطول وعرض مصر كلها.. والمصريين أيضا.

ويعرف الرئيس السادات بحسه الوطنى الصادق ما يعانيه شعبه، لذلك فجر شرارة العبور الجديد.. العبور الاقتصادى..

إنه بالنيابة عن الشعب المصرى كله - وأمام كل الشعب - طالب الحكومة بأن تتولى مسئوليتها فى القضاء على الروتين واقتلاع جذوره. وأشهد الجماهير على ذلك. لقد سبق أن طالب الرئيس الحكومة بنسف الروتين فى اجتماعه الأول بها فور تشكيلها. وربما كانت هناك ظروف لم تمكنها من ذلك ولكنها الآن فى أنسب وأفضل الظروف لتحقيق ذلك.

إن السادات بثقله الشخصى ورصيده الهائل الذى اكتسبه فى العالم كله.. وبالثقة والاحترام والتقدير الذى تبادله مع الزعماء والحكام العرب - استطاع أن يسلم الحكومة ملايين من العملات الصعبة. استطاع أن يحصل عليها بعد نجاحه بعد حرب أكتوبر - فى إقناع العالم بأنه زعيم أمين على مصالح شعبه. ويناضل من أجل تحريره وتحقيق الرفاهية له. وأنه جاد فى نضاله لتحقيق السلام العادل. وأنه صادق فى كل ما أعلنه من إقامة دولة المؤسسات وتحقيق الديمقراطية الاشتراكية.

● اذن لم تعد للحكومة أية حجة، أو عذر، لتأخير الثورة الإدارية وتحقيق العبور الاقتصادى. إن الوزارة فى اختبار حقيقى أمام الجماهير. الضوء الأخضر من رئيس الجمهورية - يدعوهم لنسف الروتين. وجماهير الشعب - راضية فى صبر - أن تنتظر لسنوات أخرى - لكنها صابرة فى يقظة كاملة.

● كلنا نعرف أن العبور الاقتصادى لا يمكن أن يتحقق إلا إذا نجحت ثورة التصحيح الإدارى والقضاء على الروتين. تماما كما أن حرب أكتوبر - والعبور العظيم لم يتحقق إلا بعد ثورة التصحيح ضد مراكز القوى.

إن الوزراء ليسوا مطالبين بغير أن يكونوا وزراء حقيقيين. إنهم يعملون فى حكومة منتخبة من الشعب.. تملك أغلبية غير عادية فى مجلس الشعب تمكنها من إصدار أى قانون تريده. وتسهل لها إلغاء أى قانون - أو نص - يعطل حركتها.

وممدوح سالم رئيس الوزراء أعطى كل وزير السلطات المطلقة فى وزارته وطالب كلا منهم بأن يتحرروا فورا من الروتين ويعمل ما يمليه عليه ضميره الوطنى.

● إن الثورة الإدارية يجب أن تبدأ بإحراق كل الأوراق التى تزهق المواطنين وتستنزف الكثير من طاقاتهم وتشتتهم.

إن خبيرى الإدارة الأمريكيين لوسر جوليك ولوسر بوليك - زارا مصر فى السبعينات - وعندما سألهم أحد المسئولين المصريين عن الوثيقة التى يكتبونها للإصلاح الإدارى فى مصر أمكا ورقة.. وكتبا عبارة واحدة Fire Papers. Do not fire people. «أحرقوا الأوراق.. ولا تحرقوا الناس».

● إن السادات يروح قائد الفريق وحده مصر كلها.. وجعل الشعب كله فريقا واحدا - مع الحكومة وصبر السادات هو تجسيد لصبر الشعب المصرى الخالد. وسيصبر الشعب صبرا نبيلا - لن يطول كثيرا مجرد ثلاث سنوات. ونأمل أن تحقق الحكومة خلالها وتسجل الأهداف المطلوبة. وألا يكون هناك وقت ضائع.

هيا بنا.. نحلم قليلا.. ونعمل كثيرا.. ولن يطول انتظار حلمنا.. فأمامنا السادات هو قائد العبور الجديد.. ورائد معنا..

سلطان محمود

أفريقيا

الإمبريالية الاشتراكية تغزو القارة السوداء..

عبد العظيم حماد

● فى حدود علمى ليس هناك فى أفريقيا شىء يهدد أمن الاتحاد السوفيتى، ومن ثم فإن السياسة السوفيتية الراهنة فى القارة السوداء لا يمكن تفسيرها إلا على أساس الدوافع الأيديولوجية المجردة أو على أساس الدوافع الإمبريالية البحتة أو على الأساسين معا.

● فى المؤتمر الصحفى الذى عقد فى كنشاسا أخيرا.. أعلن أن قوات زائير تمكنت من أسر بعض الجنود المرتزقة بأسلحتهم الروسية الصنع.

● نال متحدث عسكرى زائيرى إن قوات زائير تتقدم لتطهير إقليم شابا (كاتانجا سابقا) من فلول قوات الفزر وكذلك تطهيرها من الألغام التى كانت قد زرعتها أثناء انسحابها.

وكان الاتحاد السوفيتى بالفعل طوال فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية حريصا أشد الحرص على إلباس أهداف وأساليب سياسته الخارجية القائمة على أساس المصالح القومية للدولة السوفيتية - بوصفها دولة كبرى - ثوبا أيديولوجيا وإن بدا ضفافا فى بعض الأحيان، مثال ذلك كوريا وفيتنام والشرق الأوسط حيث كانت السياسة السوفيتية تطرح نفسها فى صيغ مقبولة مثل التعاون ضد الاستعمار والإمبريالية، باعتبار أنهما أعلى مراحل الرأسمالية، والتعاون ضد التخلف الاقتصادى، ومساندة القوى السياسية الساعية من أجل إقرار العدالة الاجتماعية.

وبطبيعة الحال كانت هذه الصيغ «المقبولة» تخفى وراءها قدرا كبيرا أو صغيرا من مصالح «الدولة الاشتراكية العظمى» . التى قد لا تكون بالضرورة متفقة مع مصالح الأطراف الأخرى. ورغم أن الأمثلة لا تعوزنا يستحسن أن نتذكر أن السوفيت بدأوا بطالبون بتسهيلات عسكرية فى مصر منذ سنة ١٩٦٥.

أما الآن فيبدو أن السياسة الخارجية السوفيتية، فى ضوء ما يجرى حاليا فى أفريقيا، بدأت تدخل فى طور جديد. هذا الطور هو استهداف أغراض إمبريالية بحتة دون الحاجة إلى إلباسها ثوبا أيديولوجيا.

ففى أحداث زائير الأخيرة لا يستطيع أحد أن يدعى أن هناك ثورة وطنية ضد مستعمر. ولا يستطيع أحد أن يزعم أن هناك ثورة داخلية ذات أهداف اجتماعية. وإنما كل ما هنالك أن الاتحاد السوفيتى استغل الخلاف الموجود بين أنجولا وزائير منذ الحرب الأهلية الأنجولية. وحرض حكومة لواندا على دفع فلول الانفصاليين السابقين الذين عملوا تحت إمرة موريس نسومبى لإسقاط نظام الرئيس الزائيرى الحالى موبوتو، وأقام لهم معسكرات التدريب وزودهم بالأسلحة اللازمة.

ويأمل السوفيت من وراء ذلك فى ضم زائير إلى الجبهة الموالية لهم فى جنوب القارة الأفريقية لتكون نقطة انطلاق نحو أرجاء القارة الملتهبة بالثروات الطبيعية والمعدنية والمثيرة بطاقات زراعية هائلة يمكنها أن تضع فى يد من يسيطر عليها مفتاح أزمة الغذاء العالمية. فضلا عن أهمية القارة السوداء الجغرافية والاستراتيجية فى الصراع الدولى من أجل السيطرة الكونية.

وفى هذا السياق أيضا تدخل السياسة السوفيتية فى شرق أفريقيا.. ففى البداية أقام الاتحاد السوفيتى علاقات وثيقة مع النظام العسكرى الصومالى وبدا ساعاتها أن شرق أفريقيا سينهد استقطابا بين الصومال التى لها مطالب إقليمية فى كل من كينيا وأثيوبيا. وبين الاتحاد السوفيتى من ناحية ضد كينيا وأثيوبيا والولايات المتحدة الأمريكية من الناحية الأخرى. وفجأة تنقلب الآية حينما ينجح الكولونيل الدمرى الشيوعى مانجستو فى الإطاحة بخصومه فى المجلس العسكرى الحاكم فى أثيوبيا. ويسبغ السوفيت عطفهم على الأمانى القومية المشروعة للصومال ويتحالفون مع النظام الجديد فى أديس أبابا لأنه يضمن تحقيق قدر أكبر من المصالح للسياسة السوفيتية فى المحيط الهندى والشرق الأوسط.. وخصوصا أن هذا النظام على استعداد لاتخاذ مواقف عدائية ضد كل من السودان ومصر.

ولسنا فى حاجة إلى تفسير الدوافع السوفيتية للتحالف مع نظام القذافى فى ليبيا. والتى هى أبعد ما تكون عن الاتفاق فى المبادئ، والتى لا تنبع إلا من أهداف إمبريالية بحتة جوهرها اكتساب مناطق للنفوذ.

وهكذا يأخذ السوفيت زمام المبادرة فى إدخال أفريقيا دوامة الصراع الدولى فى وقت لم تستكمل فيه غالبية الدول الأفريقية بناء هياكل مجتمعاتها التى لا يزال الطابع القبلى غالبا عليها. وفى وقت يعانى فيه الأفارقة من التخلف والفقر الشديدين. بينما تقول المبادئ الاشتراكية قبل أية مبادئ، أخرى إن صالح الشعوب الأفريقية هو فى مساعدتها على عبور هوة التخلف المضارى الشامل التى تتردى فيها أيا كان نظام الحكم القائم فيها.

وبصراحة أكثر أن الشعوب الأفريقية لا تزال من وجهة نظر «الاشتراكية العلمية» نفسها تعيش فى مرحلة ما قبل الرأسمالية وبالتالى فما يحرك السوفيت حاليا فى أفريقيا هو مصالحهم لا مصالح شعوب القارة أو كما يقول الصينيون «الإمبريالية الاشتراكية».